فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

# من سلسلة كيف تتلذذ بعبادتك

## كلما أتوب أرجع إلى نفس الذنب

لفضيلة الشيخ: مشاري الخراز

رابط المادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-76515.htm

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد

### التوبة عبادة

التوبة من أجمل العبادات التي تغير حياتك كلها، عبادة لم تفارق حتى الأنبياء فرسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– كان يتوب في اليوم سبعين مرة ومع هذا فبعضهم نسمعه اليوم يقول أنا عندي مشكلة كلما تبت وقعت في نفس الذنب مرة أخرى ثم أتوب وأقع في نفس الذنب مرتين و ثلاثة إلى أن أحسست بأنني منافق فأصبحت أعمل الذنب ولا أتب!، هذه شبهة من الشيطان أقنع بها الكثيرين للأسف، وأنا كنت لا أعرف كيف أدخل على الشخص الذي أقنعه الشيطان بهذه الشبهة إلى أن قرأت حديثًا عظيمًا من أحاديث النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– اختصر لي الموضوع تمامًا..

قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: "قال إبليس وعزتك لا أبرح أغوي عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني" حسنه الألباني

الله أكبر رد رباني كفاني، لأنه يعني أنه لو استمريت تقع في نفس الذنب طوال عمرك فإنه سبحانه سيغفر لك إذا تبت إليه في كل مرة.

### لماذا تترك التوبة؟

وأنت لو فكرت بالموضوع ستجد أن الإنسان يقع في الذنب ويقع في التوبة فلما احتار من كثرة تكرار التوبة وتكرار الذنب قرر أن يترك التوبة، يا أخي اترك الذنب، لماذا تترك التوبة؟ هذا كمثل الشخص الذي كان يمشي على الأرض الحارة بنعليه انقطعت نعله اليمنى فصارت رجله اليمنى تحترق بالأرض واليسرى سليمة لأنها بالنعل، فقال بينه وبين نفسه أنا لماذا قدمي اليمنى تحترق واليسرى سليمة، سأترك النعل الأخرى لكي تحترق القدمان جميعًا، صراحة هذا شيء مضحك.

### يجب عليك التوبة من ذنب تأخير التوبة

بعض الناس يسأل فيقول لو كنت أريد التوبة عمومًا لكن هناك بعض الذنوب لا أريد أن أتوب منها فهل تصح توبتي؟ الجواب: نعم تصح، تصح توبتك فيما تبت فيه، ومالم تتب منه ستحاسب عليه، "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

خَيْرًا يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ " الزلزلة: ٨، ولكن انتبه فأنت إذا تبت بعد فترة من الذنوب فإنك لا تتوب فقط من الذنب إنه يجب عليك أن تتوب من الذنب وأن تتوب من تأخير التوبة لأن تأخير التوبة معصية أخرى يجب التوبة منها، وهذه مسألة دقيقة عليك أن تنتبه منها.

فإن قال قائل أنا لا أتذكر جميع ذنوبي فكيف أتوب منها، يوجد حل مريح، اعزم على توبة عامة من جميع الذنوب ما علمت منها ومالم تعلم وربنا سيبدلها كلها حسنات بإذن الله عز وجل، إلا إذا كان هناك ذنوب فيها حقوق للغير فلابدّ عندها مع التوبة أن ترجع الحقوق لأصحابها، مثلًا: أموال أخذها العبد من الناس بغير حق، لا تكفي التوبة بل لابد من إرجاع الأموال، شخص شهد على شخص آخر زورًا فسجنوه الآن لا يكفي أن تتوب إلى الله فقط بل لابد أن تخرج هذا السجين، وهكذا.

ولكن ماذا لو كانت هناك حقوق لبعض الناس عليّ ولكنني لا أستطيع الوصول إليهم، سافروا، لا أستطيع الوصول إليهم، أو أنني لا أعرفهم الآن أو لا أعرف أسماءهم، ماذا أفعل؟

الجواب: أولًا حاول قدر المستطاع أن تصل إليهم أو أن تصل إلى من يدلك عليهم، فإن لم تستطع فتصدق بقيمة هذا المال ولكن بنية الشخص المفقود بحيث أنه يأتي يوم القيامة فيجد في صحيفته صدقة بقدر ماله الذي يستحقه عليك فلا يأخذ من حسناتك شيئًا ولكن انتبه لو قدّر الله لهذا الشخص أن يجدك في الدنيا أو تجده فيجب أن تدفع إليه ماله ولو كنت قد تصدقت بها لأنه حقه في النهاية وأما أنت فإن شاء الله لن يضيع أجرك عند الله تعالى.

## أتدري من يفرح بتوبتك؟!

إنّ الذي يتخذ قرار التوبة فإنه سيتخذ أسعد قرار في عمره كله ولن يفرح قلبه يوم القيامة بقرار أسعد له بقرار التوبة ولكن أتدري ما هو العجيب، العجيب أنك لست وحدك الذي يفرح بهذه التوبة، أتدري من هو الذي يفرح فرحة أعظم بكثير من فرحتك، بل فرحتك لا تساوي شيئًا أمام فرحته، تدري من هو؟

إنّه الله تعالى، إنّه يفرح بك إذا تبت إليه فرحة لا توصف، وهذه الفرحة كما قال النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– هي أشد أشد من فرحة الذي كان يمشي في وسط الصحراء وعنده دابّته التي عليها طعامه وشرابه فأضاعها فيئس من الحياة ونام تحت ظل شجرة ينتظر الموت فلما استيقظ وجد دابته عند رأسه وعليها طعامه وشرابه فأمسكها وفرح فرحًا شديدًا وأصبح يخطئ بالكلام من شدة الفرح فبدلا من أن يقول اللهم أنت ربي وأنا عبدك، قال: "اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح"، صححه الألباني

أرأيتم فرحة هذا العبد بأنه نجا من الموت، ربنا سبحانه يفرح بك إذا تبت إليه أكثر من فرحة هذا العبد بالنجاة.

## الله تعالى أشد فرحًا من هؤلاء

أخي الكريم أختي الكريمة أنا بنفسي رأيت مثل هذه الفرحة، فرحة الذين أتعبهم الجوع والمرض فجاءتهم الإغاثة ونجوا من هذا البلاء، ففي إحدى رحلاتنا الإغاثية إلى دولة من دول أفريقيا ذهبنا لإغاثة قرية من القرى النائية الفقيرة حتى أن بعضهم يموت بسبب أنهم بعيدين عن المستشفيات فلا يدركون المريض إلا وقد مات، ويحتاج الوصول

إليهم أن نعبر بحيرات وممرات مائية وسط الغابة فأخذنا مساعدات غذائية وملابس وذهبنا إليهم؛ فلا تتصورون فرحتهم، لقد علموا بقدومنا إليهم فصاروا ينشدون أهازيجهم وأيضًا أطفالهم يرقصون فرحًا بقدومنا إليهم، بل حتى عندما ودعناهم من فرحتهم بنا وقفوا على حافة البحيرة وصاروا يشيرون بأيديهم حتى غبنا عن أبصارهم وغابوا عن أبصارنا، وبعض القرى في أفريقيا يعيش أهلها في وسط الماء ولكنه غير صالح للشرب والجوع والحاجة وصلت عندهم ما وصلت، حالتهم صعبة فإذا جئنا إليهم بالمساعدات الإغاثية لإنقاذهم فإنك ترى هذه الفرحة في أعينهم، قرية أخرى من القرى المتضررة ذهبنا إليها برًا وكان فيها عدد أكبر يستقبلون المساعدات كما يستقبل العطشان الماء، حتى أطفالهم يفرحون بأقل القليل، إذا كانت هذه هي فرحة الذين نجوا فما هو ظنك بالله إذ أخبر النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم– أن فرحته بتوبة عبده أشد من فرحة هؤلاء بنجاتهم.

## لماذا يفرح الله بتوبتنا؟

أخي الكريم أختي الكريمة ليس مُستغرَبًا أن يفرح الخادم أو العبد بالملك إذا عاد إلى وصله ومحبته بعد طول انقطاع، هذا المعتاد العبيد يفرحون بإحسان الملوك إليهم، لكن العجب أن يفرح الملك فرحًا شديدًا إذا عاد إليه العبد، سبحان الله كيف أن فرح الله بتوبة العبد أكثر بفرحة العبد بتوبته إلى الله مع أن العبد هو المحتاج والله هو الغني.

بسم الله الرحمن الرحيم "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" فاطر:١٥، ومع ذلك فإنه يفرح بعودة عبده إليه، قد يقول قائل لماذا يفرح الله تعالى بي كل هذه الفرحة إذا تبت إليه، الجواب: لأنه يحبك، ولولا أنه يحبك فلماذا يفرح سبحانه؟، هل تفرح أنت بأحبابك أم بأعدائك؟

بأحبابك طبعًا، طيب إنه سبحانه يفرح بعودة أحبابه إليه، أنت لو وجدت طفلًا تائهًا فأخذته وربيته من صغره وعلمته واعتنيت به رعاية كاملة فلما كبر وبلغ تركك وترك توجيهاتك ونصائحك التي كنت تقولها له وأنت تعلم أنّ هذه النصائح فيها نجاته ولكنه أصرّ بل وذهب إلى عدوك الذي تكرهه فصاحبه واستمع إلى إغوائه فترة من الزمن ثم فجأة كأنه عاد إلى رشده واستيقظ من غفلته، فجاءك نادمًا، معتذرًا، راغبًا في قربك طارقًا لبابك متواضعًا لك، أصبح لا يريد إلا رضاك، وربما بكى وهو لايزال يطرق بابك ويطلب منك أن تسامحه، بالله عليك ألست تفرح به مع عظيم حبك له.

طيب ولله المثل الأعلى، ربنا سبحانه هو الذي ربانا بنعمه وأحسن إلينا، ولكن لضعفنا وغفلتنا تركنا طاعته واستمعنا لكلام عدوه الشيطان الذي طرده من الجنة لأجلنا نحن، لأنه لم يسجد لأبينا والغريب أن العبد يترك طاعة حبيبه ويصاحب عدوه، فإذا قررنا العودة إليه سبحانه فإنه سيفرح بذلك، وما ذلك إلا لكرمه سبحانه فهو فعلًا الودود الذي لا منتهى لمودته، الرحيم الذي ليس كمثل رحمته رحمة، واعلم أن فرحة المعطي في الغالب أعظم من فرحة الآخذ وأنت إذا عدت إلى ربك وتبت إليه فإنه سيعطيك عطايا كثيرة لامنتهى لها، وهو سبحانه يحب العطاء حبًا عظيمًا، يحب أن يعطي عباده ويفرح بذلك، لهذا فإنه يفرح بك إذا تبت إليه، لأنه يعلم سبحانه أنه سيعطيك بعدها،

قال أهل العلم: "محبة الله للجود والكرم والعطاء فوق ما يخطر ببال الخلق، ولهذا فإنه فرحه سبحانه بالعطية أشد من فرح الآخذ الذي يأخذ هذه العطية".

**إنا لنستحي منك يا ربنا**

في الحقيقة أنا لا أعرف أحدًا يفرح كل هذا الفرح بي إذا رجعت إليه إلا الله سبحانه وتعالى، إنها أشد من فرحة الذين نجوا من المجاعات والهلاك أشد من فرحتهم بطعامهم وشرابهم إذا وصل إليهم، والله لا أمهاتنا ولا آباءنا ولا أبناءنا يفرحون كل هذا الفرح إذا رجعنا إليهم، بالله عليك أليس من المفروض الآن أن نحب الله أكثر، كيف لا تتعلق القلوب بهذا الإله العظيم الحليم الذي ليس لنا معبود سواه، والله إنا لنستحي منك يا إلهنا، والله نستحي، ما هذا الكرم! ما هذا التودد وحسن التعامل منك لعبادك! ماذا نريد منك أكثر من هذا!

إنّ أول نعمة نزلت عليك عند التوبة أنك وصلت إلى لحظة التوبة، وكان من الممكن أن لا تصل، تخيل لو أن الواحد منا مات قبل أن يصل إلى التوبة كيف سيكون حاله؟ هذه هي أول نعمة، أما أعظم نعمة نزلت عليك عند التوبة فهي أنّ الله تعالى قبل منك هذه التوبة وفرح بك هذه الفرحة عند التوبة.

**لا تؤجل توبتك.. ألا تريد أن تفرح؟!**

ولكن هل تظن أن هذه الفرحة هي الوحيدة بالموضوع، لا، بعد أن يفرح الله سبحانه وتعالى بك فإنه سيخلق فرحة لك في قلبك، فكما أن الفرحة بك بدأت في السماء، فإنه سيصل أثرها إليك في الأرض، فسبحان الله يجد التائب في قلبه راحة وانشراح صدر وطمأنينة يعرفها من ذاقها، إنها أسرار الله تعالى التي جعلها في القرب منه، فمن اقترب من الله كشف الله له من هذه الأسرار بقدر اقترابه من ربه، فيظهر له من نعيم الجنة المعجَّل، لأن جنة الآخرة يوجد قبلها جنة أخرى يدخلها الإنسان في الدنيا، وهي جنة السعادة بالقرب من الله تعالى، هذه الجنة موجودة في صدور التائبين.

يقول العلماء: "مَن لم يجد هذه السعادة في العبادة فليراجع عبادته ولينظر أين القصور، قال لأنّ الرب شكور لابد لابد أن يجازي عبده بلذة أعماله في الدنيا قبل الآخرة".

إخواني أخواتي أنا اليوم ليس لدي هدف سوى أن يفرح الله تعالى بنا الليلة، بس، لا أريد أكثر من هذا، أريد أن لا تنقضي هذه الليلة إلا وقد استشعرت أنت أنّ الله تعالى الآن يفرح بتوبتك، تتوب إلى الله عز وجل فيفرح بك وهذا هو ظنك به وأبشر فهو سيكون عند حسن ظنك به، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، اللهم تقبل توباتنا، اللهم ارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36